الفصل الأول: سياسة التعليم في الجزائر (1931-1939):

المبحث الأول : أوضاع التعليم العربي الحر (1931-1939):

التعليم في الجزائر كان قائم على المؤسسات الثقافية منها المدارس القرآنية والمساجد والمزايا ولكنه عندما دخل الاستعمار الفرنسي شهدت الجزائر تدهور في التعليم ، فبدأت تحاول ملك طريقها والوسائل التي تساعدها على التخلص من العدو، فبدأت نهضتها في القرن 19 م، وخلال القرن 20م على يد جماعة من العلماء المثقفين مخلصين ذوي الغيرة على الدين والوطن، حيث استمدوا أفكارهم من أخوانهم العرب فأسسوا العديد من الجمعيات ، والنوادي والأحزاب ورفعوا راية الإصلاح ، وعلى رأسها الإصلاح العلمي، ففيما تتمثل هذه الجمعيات والأحزاب؟.[1]

I. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931م 1939م):

1 -الظروف التي أنشأت فيها الجمعية:

مرور قرن كامل على الاحتلال الفرنسي للجزائر، واحتفال الفرنسيين بذلك استفزاز للأزمة، وإظهارا للروح الصليبية الحاقدة التي يضمرونها للإسلام والمسلمين.

التحضير للمؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس برئاسة الحاج أمين الحسيني في ديسمبر 1931م، الذي كان هدفه توحيد الصف الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية في تلك الظروف المفعمة بالتحديات ، ظهرت جمعية العلماء للوجود.[2]

2 -نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تجدر الإشارة هنا إلى انه في سنة 1967، ثم تأسيس نادي الترقي في مدينة الجزائر، بجهود بعض رجالاتها الذي ينتمون إلى مدرسة التجديد الإسلامي.[3] وكان من أهدافه تثقيف مسلمي الجزائر ، وإعانة الفقراء وقد استدعى مؤسسو هذا النادي الشيخ الطيب العقبي ليقوم فيه بالوعظ والإرشاد على غرار ما يقوم به الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ، حيث كان الشيخ ابن باديس خارج الوطن ليتعلم لأفكار النظرية عن الحضارة الإسلامية.[4]

وترجع فكرة إنشاء منظمة العلماء الجزائريين إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وبناء على قول "ديبارمي" إن هؤلاء المثقفين قد أنجزوا إلى فكرة التعليم والنظام في القرن 20م، وتخلوا عن فكرة الحرب التي قد كانوا قد قاموا بها ضد فرنسا في القرن 19.[5] وللجمعية مبادئ لابن باديس وهي العروبة والإسلام والفضيلة،[6] حيث يواجه فرنسا بالسلاح الفكري.

---

[1] عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودور هاني تطوير الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1954)، ط 1، دار البعث ، الجزائر(1401هـ-1981م)،ص51.

[2] أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية وثورة التحرير 1954 ، أطروحة لنيل شهادة دكتورة دولة في التاريخ الحديث والمعاصر.

[3] مقرات يسلي، الحركة الدينة والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1945)، ب ط، دار الأمل ، الجزائر، 2006م، ص-ص 105-106.

[4] عبد الكريم بو الصفصاف، المرجع السابق، ص201.

5 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، (1830م-1900م)، ط3، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983م، ص-ص:408-409.

6 رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956)،الشركة الوطنية ، الجزائر، 1975، ص-ص 201-202.

وإن جمعية العلماء المسلمين التي أسسها ابن باديس مع جماعة من رجال الفكر والتربية والإصلاح في الجزائر عام (1350هـ/5ماي 1931م) قامت بدور هام إيصال الفكر التعليمي للمجمع الجزائري الإسلامي .وذلك بنشر مدارسها في مختلف إرجاء القطر الجزائر.[1]

3 -العوامل التي ساعدت على ظهور الجمعية:

أ. تسرب الدعوات الإصلاحية المشرقية عن طريق الصحافة.

ب. الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية ومنهجه التربوي القويم والتعاليم الإسلامية الحق،التي كان بينها في نفوس مديرية.

ج.التغيير الفكري الذي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى، حيث سقطت أقنعة المتعوذين، الذين أماتوا على الأمة بينها بخرافاتهم وبدعمهم، وتسلطهم علما الأرواح والأبدان باسم الدين.

د. عودة فئة من أبناء الجزائر الذين درسوا في الحجاز وبلاد الشرق –متشربين الأفكار الإصلاحية الناضجة المتخمرة.[2]

4 -أهداف الجمعية:

تباينت آراء من كتبوا عن الأهداف والغايات التي أنشأت من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الشيخ محمد خير الدين وهو أحد أعضائها يرى أن مهمة الجمعية هي إحياء الإسلام بإحياء القرآن والسنة وإحياء اللغة العربية والتاريخ الإسلامي.[3] الصراع ضد المرابطين والصوفيين وتكوين إطارات الثقافة العربية.

ويرى رابح تركي أن مبادئ الجمعية تتخلص بصفة إجمالية في الشعار الذي ينسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس أول رئيس لها وهو الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا . ويتمثل باختصار في إحياء اللغة العربية والدفاع عن الإسلام والعمل على تحرير الوطن العربي وتقوية أوامر الأخوة بين المسلمين والعرب.[4]

5 -جهود جمعية العلماء المسلمين (1931-1939م):

مرت جهود الجمعية بعدة مراحل والمرحلة الأولى التي تمتد من (1931-1939م) أي منذ تأسيس الجمعية إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى ، حيث شهدت هذه المرحلة نشاطا ثقافيا وإعلاميا حيث أسست العديد من المدارس، والمساجد والنوادي في أهم المدن والقرى التي استطاعت أن ترسل دعوتها سواء بإرشاد وإلقاء المحاضرات التوجيهية ودروس الوعظ ، واختير (الفضيل الورتلاني) من قبل أعضاء الجمعية للقيام بهذه المهمة ، كما اتخذت مسلكا آخر ألا وهو التمسك التربوي ويتمثل في الدروس التعليمية في كل الجوامع والنوادي والكتاتيب.

وامتد نفوذ عمل الجمعية إلى المهاجرين في فرنسا حيث استطاعت خلال 3 سنوات فقط من تكوين 11 ناديا موزعا على مختلف أحياء باريس. كما أساس نوادي في بعض المدن الفرنسية التي يجتمع فيها العمال الجزائرية، ورتبت فيها دروسا باللغة العربية لأبنائهم الصغار بالنهار، كما رتبت دروسا ليلية لكشبان والكبار.[5]

---

1 رابح تركي، نفس المرجع، ص-ص، 206-207.

2 أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة.

3 الإبراهيمي، سجل جمعية العلماء، ص160.

4 تركي رابح والشيخ عبد الحميد بن باديس ، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر ، ط4، الجزائر، 1984، ص-ص 68-69.

5 رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956م)، الشكرة الوطنية الجزائرية 1975، ص208-209.

6 -وسائل جمعية العلماء المسلمين:

1. المساجد:

يعتبر المسجد أحد الأسس الأصلية للمجتمع الجزائري ، حيث تقدم فيه العبادات وتعلم فيه الدروس الإسلامية فلابد أن تعتمد على هذا الأساس وهو النهج الذي اعتمدته الجمعية بالجزائر ، حيث أسسوا جوامع، ومساجد عديدة في جميع المناطق والحياء[1].

عندما منعت دولة الاحتلال رجال الجمعية في عام (1353-1933م) من إقامة محاضرات ودروس الوعظ في المساجد الخاضعة لإشرافها ثارت نخوة من الأمة كما يقول الإبراهيمي، " فأنشأت بما لها بضعة وتسعين مسجد في سنة واحد في أمهات المدن والقرى".[2]

وعلى الجمعية المسجدي هو التعليم ابن باديس الذي أتخذ "الجامع الخضر" بقسنطينة الذي تم افتتاح الدروس العلمية الإسلامية في (1353هـ 21 كتوبر 1933م) تشمل الدروس الدينية واللغة العربية. [3] كانت المساجد والجوامع تقوم بنوعين من التربية والتعليم فالطريقة كانت دروس تجري في بعض الجوامع ، قسنطينة وتبسة وغيرها بحيث بتعلم فيه الكبار في المستوى الثانوي وكانت طريقة الأسلوب والكتب المعرفية في الجوامع الإسلامية كالأزهر والزيتونة...الخ.[4]والطريقة الثانية كانت هناك دروس الوعظ تستهدف عامة الناس.[5]

2. المدارس:

قال البشير الإبراهيمي هذه المقولة كثيرا يرددها "إن المدرسة جنة الدنيا والسجن هو نارها... والأمة التي لا تبني المدارس تبني لها السجون". اعتنت الجمعية العلماء المسلمين بالمدارس من أجل نشر التعليم في إطار مواجهة التعليم الاستعماري ويتركز تعليمها على إبراز مقومات الشخصية الوطنية .[6]

وقد شهدت هذه المدارس انتشارا في طول البلاد وعرضها والقرى تفتح أبوابها منذ طلوع الفجر إلى ما بعد العشاء ، حيث يتلقى فيها العالم أفواج مختلفة من الناس.

تتميز المدارس التي أقامتها جمعية العلماء المسلمين بالكثرة والتزايد من سنة لأخرى رغم العمليات الفرنسية التي تتمثل في عمليات التضييق على العلماء وغلق المدارس وغيرها.[7]

و لم يكشف علماء الجمعية بنشر التعليم عن طريق المسجد والمدرسة فقط ، بل أيضا أنشاء العديد من النوادي لتوسيع نشاط التعليم والتي سوف نتطرق إليها.[8]

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، عريضة جمعية العلماء المسلمين ، البصائر، ع21، الصادرة عن دار العربي الإسلامي، بيروت، 2005، ص170.

[2] محمد الحسن الفضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي ، ج1، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص41.

[3] رابح تركي، المرجع السابق، ص228.

[4] حسان صبحي ، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر (1830-1962م)، ط1، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص127,.

[5] نفس المرجع، ص127.

[6] محمد لإبراهيم الكتاني، الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الوعي، ع2، دار الوعي، الجزائر، 2010م، ص-ص 9-10.

[7] محمد إبراهيم الكتاني، المجلة السابقة، ص10.

[8] حسان صبحي، المرجع السابق، ص134.

3. النوادي:

كانت جمعية العلماء المسلمين تهتم بالنوادي باعتبارها أماكن تتميز بحشد كبير من الناس وبما أنها تحمل رسالة فلابد من نشرها في أمكنة متنوعة وأزمنة مختلفة.

فتأسيس النوادي دليل على مدى التطور الفكري والوعي الذي يتميز به علماء الجمعية،فرغم أن النوادي قد أنشئت قبل تأسيس الجمعية إلا أنها يتمكنون من إرشادهم وارتفاع في كنفها، لكونها الوسيط بين الجزائريين والجمعية من خلاله ولكي يتبين لنا انتشار نوادي الإصلاح في جميع أنحاء الجزائر ، فقد نشير إلى أهميتها وهي:

-نادي الترقي: تأسس بالعاصمة في عام (1344-1976م) فقد كان مركزا لنشاط الجمعية بعد تكوينها، بل كان المكان الذي تبلورت فيه فكرة إنشاء جمعية العلماء المسلمين.[1] إلى جانب هيئات جزائرية أخرى ذات الاتجاه العربي الإسلامي حيث فتح لها أبوابها، والدعوة إلى فكرها. عن طريق المحاضرات العلمية باللغة العربية ومركز الدروس الدينية والاجتماعية، ومن أبرز الشخصيات التي كانت تلقي المحاضرات ، والدروس الحية (الإمام عبد الحميد بن باديس)[2] (محمد البشير الإبراهيمي)[3]

-دور نادي الترقي في ربط العلاقة بين الشخصيات العربية الإسلامية بالجزائر: نادي الترقي له دور هام في توطيد الصلة الوطنية. وربط العلاقة بين الشخصيات العربية الإسلامية بالجزائريين، من خلال إيصال أفكارهم ومبادئهم الإسلامية حتى لا يقعوا في مراوغ الاستعمار الفرنسي الفكرية.[4]

II. دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع عن مقومات الشعب الجزائري:

1 -**المقوم اللغوي**:كان رجال الإصلاح الإسلامي الذين حافظوا على ثقافتهم العربية الإسلامية في نطاق تأسيس وتوسيع المدارس الحرة يرون أن في مؤسسات التعليم العربية الحل الأنجح لنقاط ذاتها التي ظلت رافضة للمسخ الاستعماري ، بل هاجرت المدرسة الفرنسية لكونها مدرسة لائكيه لا تليق بمقام البنية الجزائرية التي تشبعت بالمبادئ والقيم العربية الإسلامية.

وبالمقابل قام المصلحون الجزائر يين بإنشاء المدارس الحرة لاعتبارين أساسين أولهما ضمان تعليم الأطفال الجزائريين الذين حرموا عن المدرسة الرسمية الفرنسية ، وثانيها الانسلاخ عن الثقافة الإسلامية لدى أولئك الجزائريين الذين استهوتهم الحضارة الغربية ، وقصد ترصيص صفوف الجماعة الإسلامية وتقوية أساسها بالهوية الجزائرية.[5]

وكانت الإدارة الفرنسية رافضة لتعليم اللغة العربية أصبحت اللغة العربية غريبة على الألسن، ويندرج الاهتمام بعنصر تعليم اللغة العربية في المدارس الحرة والجمعيات العربية الإسلامية من باب التأصيل الحضاري للمجتمع الجزائري والحفاظ على هويته وخصوصياته.

اعتبر الإبراهيمي أن اللغة العربية والدين الإسلامي يحتلان المكانة ا للائقة في برنامج التكوين لدى مدرسة الإصلاح فالعربية هي لغة القرآن وهي وسيلة التخاطب والتقارب بين جميع الجزائريين وهي ركيزة المكونات الإسلامية

---

[1] حسان صبحي، المرجع السابق، ص134.

[2] نفس المرجع، ص136.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص423.

[4] حسان صبحي، نفس المرجع، ص136.

[5] محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب، الجزائر، 1982، ص271.

للشخصية الوطنية وقد أشار إلى ذلك عن الدور التاريخي للعربية في الجزائر بقوله "اللغة العربية ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في دارها وبين لمائها وأنصارها وهي ممتدة في الجذور مع الماضي مشتدة الأواخي مع الحاضر طويلة الفتان في المستقبل ممتد ومع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين".[1]

2 -المقوم الديني:

يعد الدين الإسلامي أحد المرجعيات الأساسية في تكوين الطلبة الجزائريين و لم يقتصر ذلك على عملية تحفيظ القرآن وتلقينه للناشئة في الزوايا والكتاتيب عن ظهر قلب، بل تعداه إلى عملية التفسير وحفظ الحديث ودراسة السيرة النبوية ونحوها بل أصبحت المعرفة بالقرآن هي طريق الهداية وسعادة الدارسين وتلمس من ذلك في خطبة بن باديس في افتتاح دروس التفسير بالجامع الخضر وما جاء في أحدها قوله :" أما بعد فإن القرآن كلام الجبار وسيد الأذكار فيه من العلم ما يفتح البصائر ومن الأدب ما ينور السرائر ومن العبر ما يبهر الألباب ومن الحكم ما يفتح للعلم والعمل كل باب هو القول الفصل والحكم العدل فمن استهدى بغيره ضل ومن سلك غير منهجه زل ومن اتبعه كان على السراط المستقيم".[2]

وتذكر بعض الدراسات الفرنسية إلى اهتمام الجزائريين بتوظيف عنصر التاريخ في بعث النهضة الوطنية، وبروز مدرسة تاريخية مع بداية القرن الماضي ومن بين الذين تتبعوا ذلك المستشرق الفرنسي ديبارمي الذين قال عن الجزائريين أنهم أحيوا حلقة كانت مفقودة بغرض النهوض الشامل بمقومات الشخصية الوطنية.

وقد عبر عن ذلك الطموح ابن باديس في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي بقوله ولأننا جزائريون نعمل لكم الشعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعلم المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة فهو الانتفاع بالعلم وعليها واجب وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية.

3 -المقوم الوطني:

كان المقوم الوطني غائبا عن الجزائريين منذ الاحتلال واختلفت مظاهره من المقاومة الشعبية غلى مغالبة السياسية الثقافية الفرنسية وبناء الهوية والشخصية الوطنية وتجديد الذات الجزائرية والرافضة للوجود الفرنسية، ولذلك لا تبالغ غذ قلنا أن البعد الوطني تصدر الأهداف الهامة التي راهنت عليها السياسة العقلية التي انتهجتها المدرسة الحرة وحتى وسط المؤسسات التعليمية في البلاد العربية ونذكر من هذه الأسس:

- إصلاح عقيدة الجزائريين: كان التعليم يقاوم الخرافات والبدع التي شوهت عقيدة المسلمين الجزائريين وظهرت حركة تجديد دينية لمقاومة الشرك وكانت دروس ابن بادس في قسنطينة حول العقائد الإسلامية وبعث السلفية الصحيحة.[3]
- محاربة الجهود الفكري وتوظيف العقل.
- حب الوطن الإيمان.

---

[1] الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص221.

[2] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص55.

[3] عبد الحميد عويس، أثر دعوة افمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر افسلام بالجزائر، مجلة كلية العلوم افجتماعية، العدد 5، 1981، ص231.

تعد نقطة هامة في المجال التربوي لحركة التعليم خصوصا بعد ميلاد جمعية العلماء المسلمين وبناء المدارس الحرة التي استحدثت مناهج جديدة في طرق تعليمها، وأصبحت المدرسة وظيفة لبناء الغد والولاء للوطن و الاعتزاز والانتساب والتضحية من اجل تحريره.

المبحث الثاني: التعليم الفرنسي بالجزائر.

في النهاية القرن 19م نجد الدارس خلال هذه الحقبة السياسية الفرنسية آت المجتمع الجزائري قد تحطم في العمق نتيجة هشاشة بنيته الاجتماعية والفكرية والاقتصادية بفعل عوامل الهدم الاستعمارية المختلفة، وبالخصوص قانون الأهالي الذي جعل من الجزائريين غرباء عن وطنهم وفقدوا الكثير من مؤسساتهم الثقافية، ولو أنها كانت تقليدية لم تتمكن من مواجهة المدرسة الفرنسية، من جراء ذلك تحولت النخب الجزائرية المنتسبة إلى المدرسة المخضرمة (1880/1848) حسب سعد الله إلى نخب البلاط والموالاة وكونت هذه المدرسة جيلا كاملا من الجزائريين ولكنها كان أضعف المدارس إنتاجا، وأقلها ارتباطا بالفكرة الوطنية، وأبعدها إلى الدعوة إلى النقد السياسي والإصلاح الاجتماعي.[1]

لكن هذا لا يعني من جهة أخرى قبول الجزائريين بأطروحة الاستسلام والخضوع للفرنسيين بل عرفت المرحلة بروز رجال من الجيل الجديد الذي حاول الاستفادة من التناقضات التي أفرزتها الظاهرة الاستعمارية في الجزائر وقتئذ، كما ساهم العمل السلبي الذي قامت به الإدارة خلال سنوات طويلة على بروز محاولة جدية في البناء الوطني، والتحكم في عملية التثقيف وفق حادثة جديدة تغمرها انشغالات النخبة التي أضحت تتنامى رويدًا في ظل ذلك التناقض الاستعماري وقد أشار إلى ذلك أن المهتمين بفكر الحداثة بقوله:"فقد أفرز النظام الاستعماري دون وعي ظاهرة بروز أحزاب سياسية ونقابات ومنظمات استمعت مواصفات بعدها المطني من الأرضية التي حددها الاستعمار نفسه...[2]

والظاهر أن ميلاد النخب الجزائرية جاء بعد مخاض عسير وسط التراكم المعرفي الذي أفرزه الوجود الاستعماري الذي هيمن منذ الولهة الأولى على طابع المعرفة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري بهدف تمزيقه عن مرجعيته الحضارية ولذلك تطرح أمامنا العديد من التساؤلات حول بروز النخبة الجزائرية الوطنية، وهل كان وجودها هو بمثابة امتداد لتراكمات الماضي الوطني، ومن ثم الأخذ في الحسابات في منهجية البناء بعامل الأصالة و التراث؟ أم أن وجود خذه النخب من المظاهر الحافظة الاستمرار الولاء لكل ما هو فرنسي بعد أن تعد الحقبة الأخيرة من القرن 19 بداية حاسمة في عملية تشكيل الفضاء الثقافي في الجزائر باللغة الفرنسية، وتجلى ذلك بالخصوص عند رعيل هام من الجزائريين الذي درسوا في المدرسة الفرنسية، ومن أمثلة هؤلاء، عبد الله محمد، ومحمد تونسي أحمد، وبن سديرة بلقاسم وكلهم أعطوا انطلاقه هامة في مجال الكتابة والنشر والتأليف بصفة سريعة في المرحلة الممتدة مابين 1890/1880.

وخلالها تم طبع عشرات الكتب، كما توسع ظهور هؤلاء الرجال الجدد الوافدين من المدار والكليات الفرنسية بعد أن اندمجوا في البناءات الاستعمارية، وحينئذ أصبحت الفرنسية عندهم لغة التخاطب والعمل.[3]

وقد أصبح هذا الجيل من الجزائريين يمثل مدرسة الدمج الثقافية بنظام تربوي محكم خطة (جول فيري) معتمدًا في ذلك على نموذج المدرسة اللائكية الغربية الرافضة لمقومات الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة العربية والدين

---

[1] أبو القاسم سعد الله. أفكار جامحة، ط1 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 ص66

[2] محمد عبد الباقر الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحد العربية بيروت 1987،ص 38 .

[3] عبد القادر جعلول المثقفون الجزائريين المعاصرون 1930/1880 الجزء1- جريدة اليوم الموافق ل4 أوت1999.

الاستسلام وبذلك أصبحت مؤسسات التعليم الفرنسي الإسلامية تكون المثقف الجزائري وفق الايديوليجية الاستعمارية الرافضة بالاعتراف بالطرف الجزائري كشريك لها.

وكما أشرنا سابقا فقد وسعت الإدارة الاستعمارية من معاول الهدم لقطع الصلة بين الجزائريين بهويتهم من جهة وعزلهم عن كيانهم العربي وامتدادهم الإسلامي حينها حرم التعامل التخاطب باللغة العربية، وعوضتها بالفرنسية الإلزامية، وبذلك أرغمت الكثير من الذين يحسنون العربية على التخلي عنها والهجرة تحت ضغوط عديدة، مما سهل المهمة أمام الإدارة الفرنسية لتعويض ذلك بالنخب المتفرسة، وقد أشار إلى ذلك الضابط الفرنسي المستشرق ربن بقوله: تضاءل عدد المدارس وبالتالي عدد الطلاب فأصبح 30 ألف بذلا من 150 ألف كانت وسائل التعليم مكفولة لهم قبل الاحتلال وفرض لكل طالب رخصة مدرسية أصلية على أن يأخذ موافقة الحاكم العسكري، وعلى كل معلم يريد التعليم أن يتقن اللغة الفرنسية بينما كان أكثر منهم من خريجي الزيتونة و القرويين، لهذا أخرج كثير من أفاضل الناس علمائهم من مهنة التعليم وأكلت إلى الشباب المتفرنس، والغرض من هذا كله كما يظهر واضحا قطع آخر رباط بين العروبة والمغرب العربي وتسهيل فرنسته الجزائر، فالمعاملات في الدوائر الفرنسية كانت بالفرنسية واللغة في المدارس بالفرنسية كما أن مقتضيات الحياة اليومية تتطلب كثيرا من الأحيان التخاطب بالفرنسية..... ولولا القرآن الذي يقرأه الجزائر في صلاته كل يوم، ولولا المدارس القرآنية التي أوجدها زعماء جزائريين كوسيلة من وسائل بث الروح الكفاحية في نفوس الجزائريين لماتت العربية في الجزائر في عهد بعيد....[1]

وألحق هذا الاعتراف من هذا الضابط الفرنسي لخير دليل على ما عانت منه الهوية الجزائرية التي ظلت صامدة بفضل الوعي الديني الذي مكن من التعبئة والمقاومة ضد الطرف الآخر، ولعل يعود إلى اعتبارات عديدة منها:

1) إن الثقافة السائدة في الجزائر وقتئذ هي الثقافة العربية الإسلامية، وهو موروث تاريخي عاشه الشعب الجزائري منذ الفتح الإسلامي إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي.

2) عدم تعايش القيم الإسلامية، بل تعارضها مع مناهج الاستعمار الاستبدادية المخالف للديانة الإسلامية.

3) هدم الاستعمار لمقومات لأمة الجزائرية، واستفزازه لعواطفها ومشاعرها الدينية ألب ضدها العديد من النخب الجزائرية. بما فيها تلك التي درست في المدرسة الفرنسية.

ومما لاشك فيه أن الإدارة الفرنسية لم تكن تجهل العامل الديني كمقوم أساسي لثقافة الصمود التي جابه بها، الشعب الجزائري الوجود الاستعماري، بل ظلت اللغة العربية العائق الكبير أما المد الاستيطاني في الجزائر خلال القرن 19، ومن تم فقد حاولت مرارا ترويض المتمدرسين الجزائريين التابعين لمدارسها، لكن مشكل الانتماء للمقومات الحضارية العربية الإسلامية ظل من بين العقبات التي أعاقت سياسة الدمج الفكري للطلبة الجزائريين في المنظومة الفرنسية، ولإزالة ذلك المقدم الثقافي رأت الإدارة تقليص تدريس العربية في مدارسها إلى الساعتين ونصف في الأسبوع حسب ما نص على ذلك مرسوم 1892 [2]

ولعل المتتبع للإحصائيات الخاصة بالكلية الجزائريين في المدرسة الفرنسية يجدها متزايدة ولعل بنسب ضئيلة من سنة لأخرى. برغم ذلك الحيف ظل الطفل الجزائري يرتاد المؤسسة الثقافية، ولو أنه لم يستفد من مرسوم إجبارية التعليم

---

[1] دار الثقافة العربية الجزائر قصة كفاح الشعب ص 70.

[2] جعلول المثقفون الجزائريون، جريدة اليوم 4 أوت 1999.

الصادر سنة 1883 والذي تطرقنا إليه سابقا، ووصل عدد التلاميذ المتصدرين حسب الإحصائيات الرسمية عام 1890 إلى 101 آلاف تلميذ أي بنسبة 1,90 % من مجموع أطفال الجزائر الذين وصلوا سن التمدرس، وارتفع سنة 1910 إلى 33.4 ألف تلميذ أي بمعدل 4.30% ليصل سنة 1930 إلى 68 ألف أي بمعدل 6% .

أما في المرحلة الثانوية انتقل العدد من 81 تلميذ ما بين سنتي 1889 و1893، ليصل إلى 125 تلميذ سنة 1905 و180 تلميذ سنة 1910 و386 تلميذ سنة 1914 ليصل سنة 1930 إلى 170 تلميذ أما على مستوى التعليم الجامعي فقد بلغ عدد الطلبة المسجلين سنة 1884 في جامعة، الجزائر طلبة فقط ليصل سنة 1907 إلى 50 طالبا، ثم ارتفع إلى 62 طالبا سنة 1922 و لم يتمثل العدد سوى 3,90 % من مجموع الطلبة المسجلين بجامعة الجزائر.[1]

ونجد الطلبة تكونوا في المؤسسات الدينية والمراكز الإسلامية مع أواخر القرن 19 برغم ثقافتهم هذه المستوحاة من العقيدة الإسلامية وأخذهم بالأمور السلفية فإنهم لم يدعوا في انشغالاتهم بتراث ذلك السلف وأحيائه والبحث في مراحله المختلفة من الدعوة إلى المجتمع المكي فالمدني ثم الخلافة وما ترتب عنها بقدر ما كانت دعوتهم لتجديد الدين مبينة أيضا على التعايش مع الحاضر والعمل بفكر الحداثة والربط بين الأصالة والمعاصرة، ولذلك ظهرت أشبه ما يكون بمدارس حركة الإصلاح والتجديد والتي أسماها سعد الله بالمدرسة المستنيرة (1914/1880) .[2]

وبرغم الحيف الذي ضربته الإدارة الاستعمارية حول أحقية الجزائريين في الالتحاق بالمدرسة الفرنسية وانتهاجها للخط اللائكي في برامجها التعليمية إلا أن ذلك لم يعد من الصراع بين الجبليين المعاصرين من المثقفين الجزائريين أي جبل العصرنة وجبل الأصالة.

فجيل العصرنة مثل الحداثة الغربية وتكون في المدارس الفرنسية أما جبل الأصالة فتكون في المدارس القرآنية والجامعات الإسلامية، وبرغم الاختلاف الواسع في برامج التكوين فإن ذلك لم يكن بوسع من الشرح بين الجيلين في معيار التكوين، ولعل مرد ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الإرث الحضاري المتأصل وإلى الظاهرة السائدة وقتئذ وبعبارة أخرى ما هي أوجه التشابه التي جمعت الجيلين؟ وهل كانت انشغالات رواد المدرسة الفرنسية هي نفسها انشغالات طلبة الزاوية أو المدرسة القرآنية؟ وهل كانت اهتمامات كل من إسماعيل حامد وبن سديدة وين رحال وبن بريهمات وموسلي وبن حبيلس وبن التهامي وعباس وسعدات هي نفسها اهتمامات مصطفى بن الخوجة وعبد القادر المجاري والمولود بن الموهوب بن الموهوب وعبد الحليم بن سماية وعبد الحميد بن باديس الذي اعتمد في نهجه الإصلاحي على جانب العقلنة.[3] ونفس الشيء تقريبا المتمده البشير الابراهيمي ومحمد الميلي الطيب الفقي الذي دعا إلى الأخذ بمبدأ العقل[4] وغيرهم من رواد المدرسة الاصلاحية الوطنية مع بداية القرن الماضي يبدو أن الاختلاف واضح جدا في بعض فروعه، ولكنه متقارب في معظم أصوله لارتباط كل منها بالقيم الاجتماعية وحتى الحضارية وبذلك لم تسبب في التناقض والصراع ولعل ذلك أشار إليه عبد القادر جعلول بقوله"فإن كانت هذه التمايزات تعبر عن اختلاف أكثر

---

[1] جعلول، المرجع السابق

[2] سعد الله، أفكار جامحة، ص 77.

[3] أحمد مريوش دراسة النزعة العقلانية والوطنية في منظومة بن باديس الإصلاحية مابين 1912-1940 مجلة المصادر العدد 7، نوفمبر 2002، ص83.

[4] كمال عجالي من ملاحم النزعة العقلية عند الطيب العقبي مجلة المبرز عدد11، الموافق ل د.أكتوبر ديسمبر 1998، ص 35.

منها عن تناقضات ذات طابع صراعي فإن هذا يرجوا بالدرجة الأولى إلا أن هؤلاء المثقفين أيا كان طبيعة تكوينهم أو اللغة التي يستعملونها يمثلون القطب الموجب".

أما رؤية سعد الله فإنها تختلف بعض الشيء عما ذهب إليه جعلول، ويرى أن الفرو قات واضحة بين الجيلين، وأن مدرسة الإصلاح قدمت خدمة جليلة للوطن أكثر من غيرها من المدارس الأخرى بالخصوص المدرسة الفرنسية التي خدمت الاندماج والانسلاخ أكثر مما اهتمت بالقضية المصيرية للجزائريين.

الواقع لا إلى تغييره وإلى توحيد الاهتمام بالروابط الفرنسية لا بالروابط العربية الإسلامية وكان الاهتمام الذي خطي به يرجو إلى دعوته إلى التقارب الجزائري والفرنسي والاندماج وهو ما لم يحظ به فكر بن رحال ولا فكر المجاوب وابن سماية من كانوا يعتبرون من أصحاب العمائم القديمة رغم ثقافتهم العصرية يتهم المستقبلة.[1]

وقد أعقل المستشرق الفرنسي جاك بيرك بعض الحواضر الجزائرية التي كان لها السبق في تنمية الحس السياسي ومن بينها مدينة قسنطينة التي عبر العديد من أعيانها على مطالبهم عن طريق العرائض والرسائل بل والمساهمة في حركة تعليمية نوعية أحيت الضمير ونبهت العقل[2] وتعد عائلة بن باديس من بين العائلات التي قدمت الشيء الكثير لحركة اليقظة الجزائرية وإنهاء الروح التأصيلية في العقلية الجزائرية.[3]

فجيل العصرنة مثل الحداثة الغربية وتكون في المدارس الفرنسية أما جيل الأصالة فتكون في المدارس القرآنية والجامعات الإسلامية، وبرغم الاختلاف الواسع في برنامج التكوين فإن ذلك لم يكن بوسع الشرح بين الجبليين برغم الاحتلال في معيار التكوين ولعل مرد ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى الإرث الحضاري المتأصل و إلى الظاهرة الاستعمارية السائدة وقتئذ.

اعتمد عبد الحميد بن باديس في نهجيا على جانب العقلنة ونفس الشيء تقريبا اعتمد البشير الإبراهيمي ومحمد الميلي الطيب العقبي الذي دعا إلى الأخذ بمبدأ العقل وغيرهم من رواد المدرسة الإصلاحية الوطنية مع بداية القرن الماضي.بالتعليم الابتدائي الفرنسي للجزائريين في السنوات السابقة عرفة قفزة كبير بين الحربيين العالميتين، ثم بعد الحرب العالمية الثانية.[4] ففي حدود سنة (1332-1914م) قفز عدد التلاميذ الجزائريين إلى 47200 تلميذا، أي بمعدل 5%[5] قفز عدد التلاميذ وفي السنتين (1335-1336ه)/(1917-1918) مس التعليم 4900 طفلا في سن التمدرس من مجموع 850000 تلميذا أي بنسب 5.7 % وعشية احتفال المستعمر في الذكرى المؤوية الاحتلال الجزائر عام (1348-1929م) كان هناك 60644 طفلا متمدرسا من بين 900000 طفل أي بنسبة 6%[6] ووصل عدد التلاميذ الأهالي المسجلين 36797 بينهم 2034 تلميذه. وهذا دليل بداية الانطلاقة الحقيقية[7]

---

[1] سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج2 ط1 دار الغرب الإسلامي بيروت 1998 ص 241 .

[2] اليونيسكو، تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع (المطبعة الكاتوليكية بيروت 1990) ص 509

[3]

[4] أبو القاسم سعد الله ج3. (1830-1954) ، ص 291.

[5] عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية المنشورات الثقافية إيديولوجية (1871 -1962) ط2 الجزائر 1995 .

[6] حسان صبحي النظام التربوي الاستعماري في الجزائر (1830-1962) ط1- د.رياض العلوم للنشر الجزائر ص 80-81.

[1] لتوسيع التعليم وفي يوم الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر وصل عدد التلاميذ الجزائريين 68000 أي بمعدل 8.8 % [2]

وفي مقارنة بين نسبة المتعلمين الأوربيين ونسبة المتعلمين الجزائريين ينتمي (1355-1356)/ (1936-1937) مع أن الفارق الموجود في عدد السكان واضح ، حيث كان عدد الأوربيين في تلك السنة 946013 ونسمة، في حين عدد الأهالي 6281144، وهذه المقارنة تمنحنا صورة جلية على الاهتمام بالجنس الأوربي وتهميش الجنس الجزائري حتى يبقى تابعًا ومتخلف لأنهم يدركون جيد أن نشر التعليم بين السكان الجزائريين من شأن يبعث الوعي اليقظة.

ومن هذا نجد أن عدد التلاميذ الفرنسيين وصل إلى 200000 تلميذا، أما بالنسبة للجزائريين نجدهم 100000 تلميذا، وأما المدارس فتشمل على 1400 مدرسة فرنسية و699 مدرسة للجزائريين.[3]

استمرارية المدارس الابتدائية المزدوجة (الحضرية، الفرنسية)

1) الموجهة لتعليم الجزائريين: إن التعليم في الجزائر شهد وجهة جديدة بعد الحرب العالمية الأولى التي غيرته ثقافيا بظهور زعماء في الجزائر يصرون ويلحون عن تعليم أولادهم فظهرت مدارس خاصة.فخلال العشرينيات والثلاثينيات شهد ميدان التعليم انطلاقة بفضل النهضة الوطنية

2) التعليم الثانوي والعالي:

لم تكن سنة (1338-1920م) تحل حتى بلغ عدد التلاميذ 363 تلميذ وهذا ما يشير إليه ماسينون بقوله:إن عدد طلبة الليسييات كلها في الجزائر بلغ 6820 من بينهم 363 فقط جزائريين.[4] وتزايدت هذه النسبة بحلول سنة (1348- 1930) حيث وصل تعداد 776 تلميذ جزائري، وأما أبو القاسم سعد الله فيشير إلى أن عدد التلاميذ الجزائريين سنة (1355-1936م)، 881 يضاف إليهم 99 بنتا ليكون المجموع 980 تلميذا فرنسيا. وإلى جانب هذا التعليم هناك تعليما آخر يسمى بالتعليم الخاص يشتمل 16 مؤسسة كانت تضم 1911 تلميذا منهم 1681 فرنسي، 231 فقط من الجزائريين.[5]

3) التعليم الجامعي في الجزائر: ظهرت الجامعة عام (1327ه-1909) المحتكرة من قبل الفرنسيين رغم كثرة العدد الجزائريين، كما أنهم في وطنهم يدفعون ضرائب طائلة.[6]

فعدد الطلبة الجامعيين الجزائريين ضئيل جدًا وهذا ما يشير إلى حقيقة توجه التعليم لأبناء فرنسا القاطنين بالجزائر. وتدبدب عدد الطلبة فبعد 5 سنوات (1353-1358)/ (1934-1939) شهدت تراجع في إعدادهم من (11 إلى 94 طالبا بالعودة إلى التعليم في الجامعة نجده محتكر من قبل الفرنسيين أو نسبة المتعلمين الجزائريين لا تساوي أبدا من نسبة، السكان على الإطلاق فعشية الاختلال المئوي بالاحتلال

---

[1] نفس المرجع ص 80،81.

[2] عبد الله حمادي المرجع السابق ص 15.

[3] أدريس خيضر ، البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830 ــ 1966)، ج1، دار المغرب ، وهران، 2006، ص 298،

[4] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ج3 ص 301،302.

[5] المرجع نفسه، ص 301، 302، 303.

[6] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص 304.

(1348-1349)/ (1929-1930) كان عدد الطلبة في الجامعة الجزائر 1813 من الفرنسيين ولا من بين 77 فقط.[1]

وتؤكد كل ما أثبته الدراسة بأن أعداد الطلبة الفرنسيين يمثلون عشرات أضعاف الطلبة الجزائريين وهو حظ الجزائريين من الابتدائي إلى الجامعي والدليل على ذلك أن أبناء الجزائر لم يعرفوا معنى التعليم الحقيقي أو هو ما جعلهم يتكلمون لغة مختلطة لا زالت آثارها إلى يومنا هذا فلم يتمسكوا بلغتهم الأم العربية.

[1] المرجع نفسه، ص 310.

المبحث الثالث: مناهج التعليم وميزانيته

1 -المناهج الدراسية:

لقد جاءت هذه المناهج والمقررات من أجل المحافظة على اللغة العربية والثقافية العربية والإسلامية في البلاد وبالتالي المحافظة على القومية الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية ويمكننا تقسيم معاهد العربي الحر من حيث مناهجها الدراسية باستثناء الكتابية القرآنية غلى ثلاثة أنواع هي:

أ. مقررات ومناهج الزوايا والمساجد:

لقد كانت مناهج التعليم تنقسم بالعشوائية حيث كان: الطلبة يتابعون الدراسة لعدد من السنين قد تقصر أو تطول ، ويدرسون كتابين في الفقه المالكي، وغالبا ما يكون شرح الدردير على الشيخ (خليل) بأجزائه الربعة يكررونها عدة مرات في عدد من السنوات وكنا أو كتابين في البلاغة والقواعد بعدة حفظ القرآن كله جيدا، وكانوا يجلسون حلقات داخل الجامع أو الزاوية حول الشيخ، كما هو الحال في "الأزهر الشريف" قبل تحويله غلى جامعة حديثة وسنتين من هذا التعليم الجامد التعليم الذي كان يقوم به الشيخ "عبد الحميد بن باديس" في الجامع الخضر بقسنطينة "1331هـ - 1359هـ/ 1913م- 1940م" من تنظيم وتطور يساي-ر حركات الإصلاح والتطور في معاهد التعليم الإسلامية "كالأزهر الشريف وجامع القرويين بالمغرب الأقصى وجامع الزيتونة".[1]

كما أن هناك زوايا أخرى كانت على نوع من التنظيم في البرنامج الدراسية قبل زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بمنطقة جرجرة ، وزاوية "سيدي عبد الرحمان الحملاوي" بوادي العثمانية بالقرب من قسنطينة وزاوية الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة جنوب الجزائر الصحرواي.

ب. مناهج ومقررات المدارس العصرية:

تتكون المرحلة الابتدائية في مدارس الجمعية ومدارس الجمعيات الخيرية الإسلامية من ست سنوات وهي مقسمة إلى:

-القسم التحضري: وتتكون من سنتين لمدة ثلاثين ساعة أسبوعية ومدة الحصة ثلاثون دقيقة.[2]

وبرنامج الدراسة في هذا القسم يضم المواد الآتية : مادة القرآنية "سبع ساعات ونصف أسبوعيا"، مثلها المحاسبة ، أما التصوير الرسم "ساعة ونصف" ، والشغل اليدوي ساعة والتمارين المحادثة" ساعتين ونصف" وثم التركيز على تعليم الكتابة والخط لمدة "خمس ساعات" والرياضية مخصص لها "خمس ساعات" أما التعليم الديني والخلقي تست غرق "ساعتين" وهي المادة المهمة فلقد جاءت في أعلى المناهج المخصص للأطوار الثلاث: أما المحفوظات وأناشيد مخصص لها "نصف ساعة".[3]

أما الكتب الدراسية المقررة على أطفال التحضيري هي: كتاب "سمير الأطفال" (للهواري) الجزء الأول ، القرآن الكريم، والجزء الأول من كتاب "مبادئ القراءة الرشيدة" أو القراءة المصورة...إلخ.

---

[1] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية "1931هـ1956م"، الشركة الوطنية ، الجزائر، 1975م، ص ص173-174.

[2] رابح تركي، المرجع السابق، ص-ص 276-277.

[3] مصطفى عشوى، المدرسة الإبتدائية الجزائرية إلى أين، ط1، دار الملة ، الجزائر، د-ت، ص 39.

أ. التعليم الابتدائي:

الذي بدوره يتكون من سنتين وأغلب مواده علمية ويتم في ثلاثين ساعة أسبوعيا ومواده مقسمة كما يلي: اللغة العربية "ست ساعات"، وتشمل على كل من النحو ولغة "ساعتين ونصف"، والكتابة "ساعتين"، دروش المشاهدة "ساعة ونصف" وإملاء "نصف ساعة" ، وأيضا المحفوظات.

اما الحساب يخصص لها "خمس ساعات أسبوعيا"، ومادة التصوير "ساعة" مع مادة الشغل اليدوي التي تحفظ بمدتها ، ومادة التمارين الرياضية "خمس ساعات" ، أما مادة التاريخ والجغرافيا فمنها حديثان، الأولى تستغرق "ساعتين" وبينما الجغرافيا " نصف ساعة" أسبوعيا.[1]

والكتب المقررة على التلاميذ:

الإسلام الديني و كتاب الفقه الواضح في الدين و الأخلاق.

-كتب مكتبة الأطفال في القراءة(الكامل كبلاني،أو الإبراشي أو العريان)،أو كتاب القراءة،و اللغة العربية للأستاذين(صادق السبيعي أحمد صقر) النحو الواضح الابتدائي الأول و الثاني.

-كتاب التصوير الحديث للسيد (سعدى حكار).

-كتاب كراريس الخط العربي للأستاذ (الخماسي).

-الإنشاء الصحيح و كيف أكتب المقرران في المدارس اللبنانية.

-كتاب "الجديد في الحساب" الثاني و الثالث.

-كتاب "دروس التاريخ الإسلامي"المخياط بالنسبة للتاريخ العام، و كتاب مبارك الميلي،و أحمد توفيق العربي بالنسبة لتاريخ الجزائر.

ب. التعليم المتوسط :

الذي بدوره يتكون من سنتين، و أغلب موارده مثل المرحلة الابتدائية لمدة ثلاثين ساعة أسبوعيا، [2] حيث تم تعويض مادة القراءة بالمطالعة ،و تخصص لها ثلاث ساعات أسبوعيا،و اللغة العربية ثماني ساعات ،كما تم إدخال مادة الهندسة إلى جانب الحساب و تبقى لمدة خمس ساعات.و مادة خصائص الأشياء و العلوم الطبيعية (دروس المشاهدة سابقا) لمدة ساعتين،و الجغرافيا لمدة ساعة،و أخرى للتاريخ و تخصص ساعة و نصف لمادة التصوير ،و باقي المواد الأخرى لم يطرأ عليها تغير [3] .أما الكتب المقررة على القسم فنجد:القرآن من المصحف و الحفظ و التعليم الخلقي يعتمد على كتاب الأخلاق و الواجبات للأستاذ المغربي بعد منه المعلم درسه،أما الفقه فقرر له الجزء الثالث في كتاب الإسلام الديني و النحو خصص له كتاب"النحو الواضح" الابتدائي في الجزء الثالث و نقسم على السنتين.

---

[1] رابح تركي، المرجع السابق، ص-ص 279-287.

[2] رابح تركي ، المرجع السابق،ص-ص:279-280

[3] مصطفى عشوى ، المرجع السابق،ص:41.

المطالعة يدرسون كتاب" القراءة و اللغة العربية "تأليف الأستاذ بن السبعي وصفر الجزء الثالث و كتاب "كليلة و دمنة" للسنة الأخيرة و الحساب و الهندسة كتاب "الجديد في دروس الحساب" كتاب الجديد في دروس الحساب'الجزء الرابع للسنة الأولى و الخامس للسنة الثانية إلى غيرها من الكتب.[1]

-مقررات التلاميذ الجزائريين من قراء المدارس الفرنسية:

البرامج و الكتب السابقة خاصة بالتلاميذ النهاريين المتفرغين للدراسة في مدارس جمعية العلماء فقط،أما التلاميذ الذين يتابعون دراستهم في مدارس الاحتلال، فلقد تم وضع منهاج خاص بهم في أوقات فراغهم،و ثم توزيع البرنامج على أشهر السنة كما يلي:

أ. برامج شهر ديسمبر، يناير، فبراير، فهم لا يدرسون الساعة الصباحية خلال مدة الأشهر لقصر النهار و يكتفون بدراسة ساعة واحدة فقط في المساء و تشمل: 3 حصص نحو حصتين محادثة و مطالعة، إملاء، ديـن، تـاريخ، و محفوظات، و إنشاء، كما تم تخصيص حصتين للقرآن.

ب. بقية أشهر السنة:فهم يدرسون ساعة في الصباح(من السادسة إلى السابعة و الخمسين صباحا)و من (الخامسة و الخمسين إلى السادسة و الخمسين)مساء،و تشمل على : خمس حصص،و نحو 4 حصص محادثة،مطالعة،قرآن،حصتين دين و تاريخ،لغة.[2]

أ. الميزانية الخاصة بمدارس التعليم الحر: على رأسها:

1. الأوقاف:

كانت الجزائر أغنى البلدان الإسلامية بالأوقاف،و التي قدرت في مدينة الجزائر وحدها ثمانية آلاف عقار،تابعة للأوقاف الإسلامية ،فلم يبق منها عقارًا واحدًا بعد الاحتلال الفرنسي،لأنه قام بمصادرتها منذ دخولهم إلى الجزائر.[3]

و لقد الأغنياء يتنافسون في إيقاف الأموال الكثيرة ذات الربع الوفير على المؤسسات الدينية والثقافية (المدارس،الكتاتيب،المساجد،الزوايا،النوادي) لأن العلم أساس الحياة و الدين فالإنفاق عليه أجر و شرف لكل من يقوم بذلك.[4] و يضاف إلى ما سبق كما قلنا الزكاة .

و الملاحظ أن مداخيل الأوقاف كلها حولت إلى أملاك الدولة الفرنسية و هذا ما أدى إلى نقص المدارس و المساجد و هذا بسبب توقف الدولة الفرنسية عن تمويل المساجد مما و كذا صيانتها، كما لم تتم صيانة مساكن الطلبة و العلماء المجانية.[5]

2. المساعدات المالية :

إن المدارس العربية الحرة كما قال أحد الكتاب لاحظ لها في الميزانية العامة التي تمدها الأمة بالنصيب الأوفر من الدخل،لكنها تحرم من الاستفادة منها في تعلم لغتنا لأن شريعة الاستعمار في الوطن تعتبر اللغة العربية لغة أبناء البلاد الأجنبية و تعليمها.[1]

---

[1]. رابح تركي ، المرجع السابق،ص-ص: 281-282-283

[2]. نفس المرجع،ص-ص: 283-284

[3]. محمد علي دبوز،نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة،ج3،وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر،عاصمة ثقافة الجزائر،2007م،ص20

[4]. رابح تركي ، المرجع السابق،ص-ص: 310-311

[5]. نفس المرجع،ص:311

3. الجمعيات:

و لقد كانت جمعية العلماء هي المسئولة عن عملية الإشراف التام على جميع الشؤون الفنية المتعلقة بالتعليم،كالبرامج و الكتب،و المعلمين،و التفتيش،و غيرها ،كما كانت الجمعية المحلية مسئولة على جمع المال لبناء المدارس ثم تأثيثها بالأدوات المدرسية كالمناضد، كراسي،سبورات،و غيرها،ثم تعرض على جمعية العلماء لقولها في سلك التعليم و تقوم بإعداد برنامج المدرسة ،و تزويدها بمدير ،و معلمين،و كتب و متابعتها بالتفتيش و الرقابة التربوية.

و هكذا كان العمل يجرب ف تناسق و نظام بينهما، و لقد وصل عدد كل منها 150.و مما سبق يتضح أن التعليم العربي الحر كان يعتمد على الأوقاف في تمويل المراكز التعليم خاصة المدارس،و بعد الاحتلال تم ضم الأوقاف لها مما أدى إلى ضعفها في تمويل ما سبق و لوحظ عدم اهتمامهم بالتعليم،و محاربة بكل الوسائل،و ذلك بحرمان المدارس من هذه الأموال المخصصة لها و أصبح التعليم العربي يعتمد على التبرعات المقدمة من قبل الشعب الجزائري،و غيرها من الموارد.

و بصفة عامة كانت رواتب المعلمين و القائمين على المدارس إيصالات من آباء التلاميذ بواسطة أمناء الجمعيات المحلية في مقابل ايصالات رسمية مختومة بختمها الرسمي و لقد كان الفائض من مدخول كل مدرسة بوضع في خزينة جمعية العلماء مستقلة عن مالية الجمعيات المحلية، و كل مدرسة يقل دخلها فإن الجمعية تسدد العجز من خزينتها.[2]

قصد المقارنة ارتأت دراسة الميزانية من بداية ظهور المدارس المخصصة للفرنسيين و الجزائريين الغاية سنة 1359هـ-1940م لتقديم لمحة عن هذه الميزانية و تطورها.

ب. الميزانية المخصصة للتعليم الفرنسية:

1. التعليم الابتدائي:

بداية التعليم الفرنسي ترك في أيدي الخواص خلال السنتين الأوليتين فتم إنشاء بعض المدارس الابتدائية للأوربيين و اليهود(1245-1248-1830-1832) .و كان أول درس أس مدينة الجزائر نفقة الحكومة الفرنسية وفق حلقة (كسي) اللغة العربية.[3]

و لقد وجد هذا التعليم الدعم من السلطات بناء المدارس العسكرية و المدنية، كما وجد المال لبناء المدارس و تجهيزها. كما كانت البلديات المدنية تتنافس على بناء المدارس لأبناء الجالية الفرنسية (الكولون). و توفر لهم المنح و القروض ،بينما تعليم الأهالي ظل محل احتقار و تهاون مثلا سنة (1299 هـ/1882م)كان عدد المدارس الابتدائية للفرنسيين 697 مدرسة ،أما عدد التلاميذ الأوربيين هو 53666 تلميذا،في المقابل قدرت المدارس الابتدائية للجزائريين بـ 21 مدرسة فقط يرتادها 3172 تلميذ مقارنة مع الانتماء لهذه المدرسة و بالوظائف التي أصبحوا يتولونها بعد تخرجهم منها و كان عددهم حسب الرسالة ستة عشر قاضيا ،و عدلا ،و باش عدل في دوائر المدية،و لأرض الشلف،مليانة،و سور الغزلان.[4]

---

[1]. نفسه،ص310-311

[1] رابح تركي ، المرجع السابق،ص-ص:311-312.

[2] أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق ،ص:292.

[4] المرجع نفسه،ص:384.

و لقد تم رصد أموال لبناء المدارس الشرعية الثلاث على الطراز العربي.الإسلامي الأثري الأندلسي.و لقد كانت مدرسة الجزائر ضيقة رغم القصور التي منحت لمصالح فرنسية دينية و إدارية ،حتى إلى أن اشتكى من ذلك المستشرق(دبلفان) مديرها إلى الوزير (كوجس).[1]

و قد أصبحت المدرسة الجديدة باسم الثعالبية أوائل القرن العشرين أي سنة (1322هـ/1904م)و نفس الشيء بالنسبة لمدرسة تلمسان التي هي عبارة عن منزل خاص أجرته الحكومة الفرنسية لهذا الغرض،و قد بنيت و احتفل بافتتاحها سنة(1323هـ/1905م)و هي المدرسة التي بنيت قرب مدرسة أولاد الإمام الشهيرة في تلمسان،أما مدرسة قسنطينة فقد استعمل الفرنسيين المدرسة الكنانية التي بناها صالح باي،ثم بنوا أخرى على الطراز الجديد،و لم تفتح إلا سنة (1326هـ/1908م)،و هي الواقعة اليوم في شارع (العربي المهيدي).[2]

مدرسة ترشيح المعلمين:

أ – المنح:

في سنة (1281هـ/1964م)استقبلت أول مدرسة 30 تلميذ 10 منهم جزائريون،و يستفيد كل منهم من منحة تقدر بـ600 ف،بالإضافة إن التعليم كان مجانيا،كما خصص (جونار) 50 ألف فرنك في شكل منح.[3]

ب –الأجور:

كانت أجرة أو راتب المدير لمدرسة ترشيح المعلمين 1200 فرنك سنويا،و أجرة المعلم المسلم 200 سنويا،و يمكن وللحاكم العام إضافة للعلاوات السنوية في شكل مكافآت بشرط أن لا تتجاوز نصف الراتب ،و الملاحظ أن الميزانية كانت من الجزائريين أنفسهم ،فالرواتب للمعلمين كانت من الغرامة المضافة على العرب و مدرسة البنات تخضع لنفس الشروط ،لكن أجرة المدير الفرنسية 1000 فرنك سنويا،و و أجرة المعلمة المسلمة 500 فقط.[4]

ت –الميزانية السنوية:

منذ سنة (1278هـ/1861هـ)انتقلت ميزانية المدارس إلى البلديات التي يسيطر عليها الكولون و العناصر التي لا تهتم بالمدارس العربية –الفرنسية- و لا بتعليم الجزائريين، لذلك توقفت البلديات على عدد السكان الجزائريين يتجاوز عددهم المليونين مع سكان الأوربيين عددهم أربعمائة ألف نسمة فقط هذا يدل على التمييز العنصري،و الذي اتخذ أسلوب الإهمال المتعمد،و هذا يظهر أيضا جليا من خلال القروض المخصصة للطرفين،و خاصة أثناء العهد الذي تغيرت فيه فرنسا موقفها من تعليم الجزائريين (1320-1326هـ)(1902-1908م)و أصبحت تسند له جزء من الميزانية بعد الإهمال.[5]

---

[1] المرجع نفسه،ص392.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ص392.

[3] عامر بن حديد،التعليم الأهلي خلال القرن الأول منذ الاحتلال (1830-1930م)،مذكرة تخرج ليسانس في التاريخ،اشراف عماد بن خوون(1428-1429ه)،(2007-2008م)،ص36.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ص353.

[5] أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،صفحات:295-296-297.

2. التعليم الثانوي:

لقد كان بالجزائر (1303هـ/1886م)ثماني عشرة مدرسة ثانوية و معهدا أبرزها ثانوية الجزائر ،و ثانوية قسنطينة ،وهران،أما المؤسسات الأخرى فتسمى الكوليجار أو المعاهد البلدية.و عددها تسعة يضاف إليها مدرستان حرتان ،و أربع حلقات (سمينارات)ذات طابع ديني مسيحي،و كان يتردد عليها من الأوربيين 3352 أي بمعهد 200 تلميذ لكل مؤسسة ،أما الجزائريين فلا يتجاوز عددهم 115 تلميذا.

و لقد طرح التساؤل حول ذلك،فمثلا الكاتب(يوليو)أرجعها للارتفاع ثمن التعليم لكن يمكن لهذه العائلات أن ترصد منحا لأبنائها أن وجدت لذلك سبيلا.في المقابل كانت الدولة الفرنسية ترصد لأبنائها منحا للدراسة في الثانويات.فأين منح الجزائريين الذين يدفعون ضرائب ثقيلة أكثر مما يدفعه الفرنسيون،و لقد وصل عددهم سنة (1332 هـ/1914م)إلى 386 و إلى 776 سنة (1349هـ/1930هـ).[1]

3. التعليم العالي:

نجد أنه تم انشاء مدرسة الطب بقرار (1274 هـ- 4 أوت 1857م)و بعد عشرة سنوات حصل ثلاث جزائريين على منح الدراسية في المدرسة التي تخرجوا منها.و لقد تم إنشاء لجان لدراسة التعليم العالي في الجزائر رصد المال لها، و إعلانها جامعة (1327هـ/1902م)،و تطويرها بفتح معاهد و ملحقات.

و كانت ميزانية دروس اللغة العربية تصدر عن وزارة المعارف في فرنسا و ليس من الجزائر،رغم ذلك فإنها تتلقى المساعدات من الميزانية المحلية بالجزائر،بينما كانت مدرسة الطب تنال مساعدات منها.لأنها تتبع وزارة الحربية،كما أنه وضع جوائز سنوية لمن يعرف اللغة العربية (جائزة أولى قيمتها 400 فرنك و جائزة ثانية قيمتها 200 فرنك) بعد امتحان و مسابقة تقوم على الترجمة الشفوية بالفرنسية و العربية و كتابة رسالة باللغة العربية ،و النقل من الفرنسية إلى العربية.[2]

ب. التعليم المزدوج:

هو تعليم قام على تبرعات الشعب و ليس من ميزانية الدولة الفرنسية ،أما التعليم الفرنسي في أخر مراحله أصبح من ميزانية الدولة التي طالما تغيبت في الماضي عن أداء واجبها،و أن أحداث برنامج لتعليم الأهالي منذ (1311 هـ/1892م) لا يتعين رصد الأموال الكافية و بناء المدارس اللازمة لاستيعاب كل التلاميذ في سن التمدرس،و قطع التلاميذ لكل المراحل التعليمية.[3]

1 -المدارس الشرعية:

أ - المنح:

كان التعليم مجانيا في المدارس الشرعية – الفرنسية،و يبدو أن الإقبال عليها في البداية مرتفعة إذ أن عدد التلاميذ في المدرسة الواحدة بين 50 و 60 بسبب ما أشيع من أن التلميذ المنتظر يتحصل على حوالي 80 سنتيم في اليوم.و لكن ذلك لم يستمر، لأن معدل الحضور يتراوح ما بين 15 و 20 فقط.و قد قدرت بعض التقارير أن المنحة السنوية

---

[1] نفس المرجع،ص-ص:301-302.

[2] أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص-ص:306-308.

[3] نفس المرجع،ص-ص،317-318.

للتلميذ كانت حوالي مائة فرنك سنويا.إذا أثبت التلميذ أنه نجيب،و كان يمكن للتلميذ السكن في المدرسة إذا توفر ذلك،لكن الشروط الصحية كانت سيئة،و بعد إصلاحات سنة (1313 هـ/ 1895م)،أصبحت المنح تقدر بـ:300 فرنك و ارتفعت بعدها إلى 350 فرنك سنويا. [1]

ب -الأجور:

كانت الأجرة في البداية للمدير 2100 فرنك سنويا،و أجرة المعلمين 1500 فرنك سنويا،و بعد قرار أو إصلاح سنة(1393 هـ/1876م) الذي نص على تحسين أوضاعهم و طريقة توظيفهم و رواتبهم و المديرون الذين أصبحوا فرنسيين قد صنفوا إلى ثلاثة فئات حسب طبقاتهم 3000،2500،2000 فرنك،و رواتب المعلم يبدأ بـ 1200 فرنك،و يمكن أن يرتقي إلى 1500 فرنك و 1800 فرنك.و لقد نصت قرارات لاحقة على زيادة الرواتب كقرار(1325هـ/1907م)حتى وصلت الطبقة العليا إلى 5000 فرنك.و الدنيا 2000 فرنك كما أن للمدير حق الإدارة و هو ألف فرنك إضافية.و نجد أن مدير مدرسة الجزائر بالذات يتقاضى ألفي فرنك. [2]

ت -الميزانية السنوية:

كانت تبلغ الميزانية السنوية 23,000 فرنك، و هي تخرج من ميزانية الدولة ،و جاءت إصلاحات سنة(1313هـ/1895م)ليبرز أنها عبارة عن مساعدات،بينما ميزانية التعليم الفرنسي أساسية.و لذلك فإن 400 ألف ساكن أوربي في الجزائر يحصلون على 3 ملايين فرنك من ميزانية التعليم،بالمقابل الجزائريون البالغون 3 ملايين و 400 ألف يأخذون 70 ألف فرنك منها. [3]

و لقد قام أيضا مجموعة من قدماء مدرسة الجزائر سنة (1293 هـ/1867) بإرسال رسالة نحوية تحوي النقود التي تبرعوا بها لتلاميذ المدرسة المتضررين من المجاعة، و كتابين للمدير، اعتزازهم تخصيص ميزانية للصيانة و الرعاية المالية،و البناء و الرواتب. [4]

و كان للحرب و الأزمة الاقتصادية أثر في ضعف الميزانية، و كادت توقف بناء الأقسام و المدارس، بعد الحرب أصبح الزعماء الجزائريون أكثر إلحاحا على المطالبة بتعليم أولادهم و بحقوقهم المدنية و السياسية.و بسبب الضغط المتواصل أصبحت الحكومة الفرنسية ترصد المال اللازم سواء من ميزانية الجزائر التي يصوت عليها المجلس المالي، أو القروض الحكومية المباشرة،أو إنشاء المدارس الخاصة المتبرع لها من قبل الجزائريين و لقد بلغت ميزانية التعليم لسنة (1338 هـ/1924م)حوالي 13458500 فرنك مضاف إليها حوالي خمسة ملايين فرنك لانجاز البيانات الجديدة. و لقد أصبح التعليم الأهلي من مسؤولية الحكومة و ليس البلديات،و هذا ما أدى إلى انجاز المشاريع في وقتها أغلب الأحيان،و لقد كانت هناك قرى تقدم منزلا ليكون مقرا للمدرسة، و كما هناك أحيانا يتفاهمون مع المعلمين الفرنسيين لتعليم أولادهم على حسابهم،و قال (جورج هاردي) أن الحكومة تقدم كل عام 187 مليون فرنك معنونة لميزانية الجزائر لتصرف على تحسين أحوال الجزائريين ،و من ذلك المبلغ 35 مليون للتعليم. [5]

---

[1] أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص-ص:285-394.

[2] المرجع نفسه،صفحات:380-382-393.

[3] عبد الحميد زوزو،

[4] أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص-ص:336-337.

[5] نفس المرجع،ص:364.

1 -التعليم الموجهة للجزائريين:

فرنسا استحوذت على أموال الأوقاف الخاصة بالجزائر عند احتلالها و لإهمال لتعليم الأهالي و نخـــــليها عن تمويله ،و منح تلك المسؤولية إلى سلطة البلديات التي يسيطر عليها الكولون و العناصر المعادية للتعليم الجزائري،و رصد تلك الأموال لتعليم الفرنسيين ،و لقد اكتفت بتقديم معونة سنوية تقدمها الميزانية الجزائر لتصرف في شكل مساعدات خيرية و ليس بالضرورة على التعليم،و هذا ما أدى إلى تدهور التعليم و اضطرابه.[1]

و لقد كان هناك نوعين من الميزانية من ميدان التعليم ميزانية للموظفين،و كانت الولاية تتولاها، و لا نزاع بشأنها عادة، ثم أصبحت تتولها ميزانية الجزائر منذ(1318هـــ/1900م)ثم ميزانية بناء المدارس أو تجديدها و صيانتها،و هذا محل النزاع لأن البلديات كانت مسئولة عنها.و تتراوح ما بين 40 % و 80 % من المصاريف،و قد تصل أحيانا إلى 90 % ،لكن البلديات كانت تغض النظر عن المطالبة ببناء المدارس و توفيرها للأهالي.

رغم امتلاكها لبعض الضرائب الأهلية كالأملاك الوقفية التي استلمتها من الدولة الفرنسية و التي كان لها مداخيلها المالية للبلدية بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على الجزائيين و التي قدرت سنة (1303 هـــ/1886م)بـــ6300000 فرنك و هي تزداد كل سنة، و كانت توضع في خزينة الدولة الفرنسية و الممثلة في خزينتي الولاية و البلدية.و لقد نتج عن ميزانية وزارة التعليم لهذه السنة و المقدرة بـــ 45000 فرنك المقدمة لمعونة لبلدية الجزائر على بناء 19 مدرسة أهلية (قسما)،و بلغ الصرف عليها 34000 فرنك،وصل المجموع إلى 72200 فرنك،ثم طالبت الحكومة برفع المعونة إلى 219000 فرنك لتوجيه لتعليم الأهالي،و لكن قوبلت بالرفض من بعض البلديات ،بدعوى كثرة مدارس القرآن و أنهم لا يريدون التعلم فيها،و أن المدارس فارغة،بالاضافة أنها لا تمتلك الأموال لذلك.[2]

رغم محاولات (جول فيري)،فإن الوضع ظل كما هو إلى غاية الحرب العالمية الأولى،و لقد أعد جونار سنة (1312هـــ/1893م)ميزانية تضمنت تخصيص 622850 فرنك لتعليم الأهالي،موزعة على المنح الدراسية في الثانويات 50 ألف فرنك،و الصرف على أوجه التعليم الابتدائي للأهالي(بناء المدارس و رواتب الموظفين) 621 ألف فرنك 1850 فرنك من أجل المدارس الشرعية الثلاث. .[3]

---

[1] نفس المرجع،ص:432.

[2] أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص-ص: 432-433.

[3] نفس المرجع،ص-ص:357-434.